صورة "المتنبي" في الرواية العربية

د/ رجب أبو العلا

كلية دار العلوم-جامعة المنيا

الكلمات الافتتاحية:(الطلسم- الذهان -البوح- النكبة- الماجور-السيمياء)

ملخص الدراسة:

صورة المتنبي في الرواية العربية: تستشرف صورة المتنبي خارج النمط الشعري عبر روايتين هما: " المتنبي يعود من جديد" و" رباط المتنبي"، ففي الأولى حضر المتنبي فيها عبر الحلم المنامي لبطل الرواية (أحمد) باستخدام الطلسم، وكان حضوره مرتبطا بالجانب السلوكي بشكل كبير، فظهر "المتنبي" كثير الاعتزاز بالنفس، لديه ثقه مبالغ فيها، دافع عن نفسه وعما أثير حوله من إشكالات ومقولات نقدية وبلاغية، تحدث كثيرا بلغة الأنا والذات، الأمر الذي جعل من سلوكه صورة مناقضة لبعض القيم التي بالغ في نشرها في شعره.

الرواية الثانية: رواية "رباط المتنبي"، لم يجد "المتنبي" إلا بيت الأستاذ الذي استدعى "المتنبي" عبر مرض (الذهان) فحل الأستاذ في عصر المتنبي، أو حل المتنبي في عصر الأستاذ، بدت من لحظة اعتقال "المتنبي"، وصولا إلى دخوله مستشفى الأمراض العقلية، وصولا بعد ذلك إلى محاولة التعافي من هذا المرض، إلا أن الجانب الفكري والوجداني الذي يهيمن على العالم العربي في الوقت الحاضر، هو الذي كان مؤثرا بشكل كبير على أحداث هذه الرواية، فتجلت العديد من القضايا التي حاول الكاتب معالجتها: أزمه المثقف العربي، وماهية اللغة ومكانتها، العلاقة بين المثقف والسلطة، وانتهت الروايتان بهروب المتنبي من الواقع، وهو هروب مشابه لهروب المتنبي الحقيقي من الواقع السياسي في فترة حياته.

وقد جاءت الدراسة في ثلاثة محاور:

المحور الأول: عتبات السرد: وفيه كشف عن العلاقة بين العنوان والغلاف، ومعطيات النص الروائي.

المحور الثاني: "رواية المتنبي يعود من جديد" للكاتب "عبد الله الجيكاني"، وقفت الدراسة مع الجوانب السلوكية للمتنبي".

المحور الثالث: "رواية رباط المتنبي" للكاتب "حسن أوريد"، وتوقفت الدراسة أمام عدة قضايا فكرية. ثم رصد لأهم نتائج الدراسة.

استهلال:

الكتابة عن "المتنبي" من المعارك الصعبة والشاقة التي يخوضها الكاتب في العصر الحديث، ويرجع ذلك إلى: مكانة "المتنبي" التي أخذها في تاريخ الأدب العربي؛ هذه المكانة كانت في حاجة إلى الكشف عن بعض جوانبها، وقد تناول هذه الجوانب كثير من أساتذتنا الكبار، وهنا تكمن العقبة الثانية من صعوبات هذه الدراسة، مكانة من كتبوا عن "المتنبي" وأفاضوا فيه؛ ولهذا فالدراسة بين رهبة شخصية "المتنبي" الأدبية من ناحية، ورهبة كبار الكتاب النقدية من ناحية أخرى. ولكن يشفع لهذه الدراسة أنها تحاول الكشف عن كيفية ظهور "المتنبي" في فن الرواية العربية، وهي زاوية ترتبط بين قطبي الفنون الأدبية (الشعر والنثر).

منهج الدراسة:

وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي القائم على التحليل، في رصد ملامح شخصية "المتنبي" في ثنايا العرض الروائي للنصوص موضوع الدراسة؛ لتكشف عن جوانب الظهور والتناول لصفات شخصية "المتنبي" على امتداد الأحداث.

خطة البحث:

جاءت خطة الدراسة في ثلاثة محاور، يعقبها نتائج الدراسة، وهي على الوجه الآتي:

المحور الأول: عتبات السرد.

المحور الثاني: رواية "المتنبي يعود من جديد"، للكاتب عبد الله الجكاني.

المحور الثالث: رواية "رباط المتنبي"، للكاتب حسن أوريد.

وجاءت تفاصيل الدراسة بمحاورها على الوجه الآتي:

المحور الأول عتبات السرد:

استطاعت الدراسة الوصول إلى روايات ثلاث، كان "المتنبي" حاضرا في بنية عنوانها الرئيس:

الأولى: رواية الكاتب "محمد جبريل"، بعنوان: "من أوراق أبي الطيب المتنبي"، مكتبة مصر، الفجالة، القاهرة، ط٢، ١٩٨٦م.

الثانية: رواية الكاتب "عبدالله الجكاني"، بعنوان: "المتنبي يعود من جديد"، دار تسراس للنشر والتوزيع، ط١، المغرب، ونعتمد على الطبعة الثانية ٢٠١٩م.

الثالثة: رواية الكاتب "حسن أوريد"، بعنوان: "رباط المتنبي"، المركز الثقافي العربي للنشر، ط١، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠١٩م.

واقتصرت الدراسة على الروايتين الثانية والثالثة، لما لهما من خصوصية لمكونات الرواية العربية (الشخصيات – الأحداث– الصراع– الزمان – المكان .... الخ)، أما رواية الكاتب "محمد جبريل"، فهي عبارة عن تحقيق لمجموعة أوراق أشبه بالسيرة الذاتية ، حولها خلاف حول من كتبها، وحول الطريقة التي وصلت بها، لكن الكاتب عكف على تحقيقها ونشرها للقاريء، وهو جهد طيب، ولكنه لا يدخل في دائرة التصور الروائي لحضور شخصية "المتنبي" داخل الرواية الحديثة "أما السؤال الذي طرح نفسه، قبل أن أعد هذه الأوراق للنشر، وبعد إعدادها كذلك، فهو: هل كتب أبو الطيب ما كتب في صورة مؤلف، يروي أحداث رحلته في مصر، أو أن أوراقه مجرد ملاحظات أقرب إلى المذكرات اليومية ..."([1]). ففي هذه الرواية – على حد تسمية صاحبها– يغلب جانب التحقيق والشرح على أوراق كتبها "المتنبي" كما يزعم المؤلف.

ولما كانت رؤية هذه الدراسة تحاول رصد ملامح شخصية "المتنبي" على المستويين الأخلاقي والفكري، فقد ركزت الدراسة على روايتي: ""المتنبي" يعود من جديد" و "رباط "المتنبي"".

وقد جاءت هيئة الروايات الثانية والثالثة مشتركة في رسم صورة "المتنبي" الشخصية المتخيلة، على أغلفتها مع اختلاف في بعض التفاصيل، فجاء الغلاف في رواية ""المتنبي" يعود من جديد" صورة مرسومة تحمل شطر وجه "المتنبي"، فالصورة لنصف وجه الرجل؛ يبدو فيها نصف الرأس، وعين واحدة، ونصف الأنف، ونصف الفم، ونصف الشارب، ونصف اللحية، وفي نظرة العين تأمل وهيبة ورسوخ، يغلب على هذا الغلاف اللون الأحمر المطلي بالسواد، وهو أشبه بلون النار الملتهبة، وهو لون يتوافق مع ما غلب على الرواية من تفكير وظهور لشخصية "المتنبي" بجوانب مغالية في الشر في أغلبها.

أما رواية ""المتنبي" يعود من جديد": ففيها يحمل الغلاف ملامح لرجلين: الأول صاحب نظر ثاقب يرتدي عمامته، يظهر في تأمل وتثبت. وآخر يناطح رأسه في رأس "المتنبي"

[1] – محمد جبريل: من أوراق أبي الطيب "المتنبي"، مكتبة مصر، ط٢، القاهرة، ١٩٨٦م، ص٦.

(المتخيل)، مرتديا عمامته، حاملا نظرة غضب وكره للمنظور إليه، يغلب عليهما اللون الرصاصي في رسم ملامح الرجلين، وهو دلالة على الصراع بين ذات الكاتب الحاضرة، وحضور "المتنبي" في هذه الذات، حضور فكري يؤدي إلى مرحلة الصراع بينهما، أسهمت ملامح الوجهين بالقلم الرصاص في الكشف عن الملامح الرئيسة للتلاقي.

هذا الجانب الشكلي اشتراك مجمع من الكتّاب على حضور "المتنبي" في متن العمل الروائي، بما في ذلك رواية محمد جبريل التي جاء فيها الغلاف يحمل صورة لأربعة من الرجال وامرأة، والجميع ينظرون في اتجاه واحد نظرة التفات وانتباه ودهشة، يركب أحدهما فرسه، ويمسك بسيفه، منطلقا لا يهاب أحدا، والثاني يحمل سيفه في أهبة الدفاع، والاثنان الآخران ثاقبا النظر في اتجاه معين، وتظهر خلفهما امرأة تهيمن بحسنها وجمالها ونظرتها أعلى الغلاف، ناظرة إلى نفس زاوية الرجال، ونظرها مهيمن على الجميع بحسنها وبهائها.

هذا الحضور هو حضور افتراضي وواقعي؛ افتراضي لما فيه من صورة متخيلة غلبت على الفكر فألهمت العنوان المكتوب في الروايتين ("المتنبي" يعود من جديد– رباط "المتنبي"). هذا الافتراض والحضور يأخذ النمط الواقعي في جانبين: الجانب الأول: العنوان؛ ف"المتنبي" حاضر في العناوين كلها ""المتنبي" يعود من جديد" و "رباط "المتنبي"" والتركيز هنا على الاسم الذي اشتهر به، وعُرف به بين الناس، ولقبته به المصادر والمراجع. والجانب الثاني في المضمون: الذي شكل فيه "المتنبي" بحضوره الفعلي والواقعي داخل الرواية فاعلا مؤثرا في الأحداث ومجريات السرد، هذا التصور الشكلي للغلاف يهدي بنا إلى ملاحظة أخرى: أماكن صدور الروايات وجنسيات كتّابها؛ فالأولى المستبعدة في مصر، والثانية والثالثة موضع الدراسة في المغرب والكتّاب من المغاربة وهيمنة المغرب العربي أكبر وأشمل، فالإصدارات المتنوعة في أماكن متعددة، هي ترجمة فعلية لرؤية فكر مشترك يحتاج إليه العالم العربي، ولا غرابة في ذلك إذا كان المفكر والكاتب دليل الأمة، وقائدها، وعينها الحادة التي تستشرف المستقبل، هذه الرؤية الشمولية قد وضعها "المتنبي" في قوله:

لِتَعلَمَ مِصرُ وَمَن بِالعِراقِ * وَمَن بِالعَواصِمِ أَنّي الفَتى**

وَأَنّي وَفَيتُ وَأَنّي أَبَيتُ * وَأَنّي عَتَوتُ عَلى مَن عَتا(١)**

نعم لقد علمت العواصم ب"المتنبي"، وخلده شعره ولغته، هذا الخلود انتقل من الشعر إلى الرواية، وهو يقودنا إلى الملحوظة الثالثة: الاختلاط والتمازج الشكلي بين لغة السرد ولغة الشعر: لغة السرد الخاصة بالكاتب، ولغة الشعر الواردة على لسان "المتنبي"، أو أحد شخصيات الرواية؛ فالمتأمل في الروايات يجد أن نسبة الأبيات الشعرية كثيرة، والاستشهاد بها واضح، وهنا يبدأ الطرح، هل صورة "المتنبي" الشعرية انتقلت كما هي إلى الرواية أم أن الرواية كان لها رأي آخر؟ حتى يأتي الاستدعاء والحضور والوجود الذي أقره طه حسين في كتابه مع "المتنبي"؛ بأن الهدف كان صحبة للمتنبي، ولم يكن هدف دراسة شعره أو تعليمه أو تعلمه، وإنما صحبة "المتنبي" فرضت على طه حسين أن يكون معه في فرنسا، فكان كتابه مع "المتنبي" " لا أريد إذن أن أدرس "المتنبي"؛ فإني قد فررت بنفسي وأهلي من الدرس والبحث والتحصيل، ولقد صحبت "المتنبي" طوال العام الجامعي أدرِّس شعره مع الطلاب، وأتحدث عنه إلى جمهور الناس، حَتَّى سئمت درسه والتحدث عنه..... لأني لا أريد درسًا ولا بحثًا وإنما أريد صحبة ومرافقة ليس غير"(٢)

هذه الشخصية فرضت نفسها على الواقع الحاضر، فكانت الروايات التي أبرزت لنا شخصية "المتنبي". فمن يمتلك قدرة على الحضور لابد أن يكون له وجود، خاصة أنه يحمل رمزا للتجديد اللغوي والبقاء والخلود لحضارة ربطت بين الشرق والغرب، وارتبطت بالعديد من القضايا المطروحة في واقع المجتمعات العربية، أو على حد تعبير "المتنبي" عن نفسه بأنه: "هو من أسدى للغة العربية نياشين المجد، وهذا التراث جزء مني"(٣)

---

١ – ديوان أبي الطيب "المتنبي": بشرح أبي البقاء العكبري المسمى بالتبيان في شرح الديوان، ضبط وتصحيح وفهرسة: مصطفى السقا– إبراهيم الإبياري– عبدالحفيظ شلبي، دار المعرفة للطباعة والنشر، ج١، ص ٤١، ٤٢.

٢ – طه حسين: مع "المتنبي"، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٣م، ص٩، ١٠.

٣ – حسن أوريد: رباط "المتنبي"، المركز الثقافي العربي، ط١، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠١٩م، ص١٨١، ١٨٢.

المحور الثاني: رواية "المتنبي" يعود من جديد للكاتب عبد الله الجكاني:

جاءت "رواية "المتنبي" يعود من جديد"([1]) في عشرة فصول، وظهر "المتنبي" في الرواية في عام ٢٠١٧م ، في مدينة "تافراوت" جنوب المغرب الأقصى، بعد حصول بطل الرواية "أحمد" على الحبر الروحاني الحقيقي من الخياط بمدينة "مراكش" ليوصله إلى "الشريف" بمدينة "تافراوت"، وهو حبر مخصص للتجارب السيميائية، وقد استطاع "أحمد" الاحتفاظ ببعض قطرات الحبر الروحاني وعمل على تجريبه في غفلة من أصحابه (المهدي- عزوز- يوسف- الشريف) -بعد أن صحبهم إلى بلدته لقضاء بعض الوقت احتفاءً واحتفالا بنهاية الدراسة والحياة الجامعية- وقد كان الأصدقاء على دراية بما يخفيه "أحمد" في نفسه. وباستخدام أحمد للطلسم أو الحبر الروحاني بدأ استدعاء القرين، فظهر قرين "المتنبي"؛ ليهيمن على سرد وأحداث الرواية بشكل عام. وحقيقة "المتنبي" داخل هذه الرواية تتجلى في صفات ظهوره، فقد استطاع الكاتب أن يعلن عن حضور شخصية "المتنبي" ويقدمها في شكل شخصية متناقضة أو غير سوية أحيانا، وفي أحيان أخرى شخصية حكيمة مثقفة واعية، ومن ثم فإن الحضور "للمتنبي" في هذا النص الروائي تجلى في عدة سمات منها:

الإصرار والاعتزاز:

يتجلى هذا الوصف في إصرار القرين على أنه "المتنبي" "وهل كان أبوالطيب "المتنبي" ليكون شاعرا عظيما لولا وجودي؟ لقد خلقت معه، وصاحبته خلال حياته لحظة لحظة! أنا من وسوس له! أنا من فكر له! أنا من أوحى له الشعر! أنا المتنبي لا هو"([2]). في هذا الإصرار ملمح دلالي يشكل أحداث الرواية في الفصول القادمة، فالحاضر المؤثر يتصرف على أنه "المتنبي"، ومن ثم فإن تسليمنا لابد أن يكون بعودة "المتنبي" من جديد، وهو العنوان الذي حملته الرواية.

[1] – عبد الله الجكاني: "المتنبي" يعود من جديد، ط٢، دار تسراس للنشر والتوزيع، ٢٠١٩م، ويبدأ ظهور "المتنبي" في الرواية في الفصل الخامس "استدعاء "المتنبي"" ، ص ١١٥.

[2] – المتنبي يعود من جديد، ص ١٢٨.

لقد كان الاعتزاز بالنفس مصحوبا بالشغف والمطالعة وبناء الذات، فـ "المتنبي" في الرواية يقدم نفسه عزيزا أنيقا جادا في تعاملاته لا يحب إضاعة الوقت، يحاول فهم العالم الذي جاء إليه في هذا الوقت، يحاول معرفة الناس، والملفت للنظر تطلعه إلى السلطة، وهي صفة ظهرت كثيرا في أشعاره، والكاتب هنا جعل لها الإسهام الأكبر في سير الأحداث وصولا للنهاية، بل لعلها الرغبة الأساسية المحركة للأحداث، فبعد أن انتقل "المتنبي" مع أحمد ويوسف والمهدي إلى غرفة المكتبة وقد وضع أمامه أزيد من سبعين مؤلفا من مختلف المجالات "وكنا نجلس أمامه ونراقب تصرفاته في كثب .... لقد أمضينا الليل كله على هذا الحال، منذ اللحظة التي دله المهدي فيها على المكتبة مرورا بالساعة التي أمضاها في اختيار الكتب، وصولا إلى الساعة التي بدأ فيها بقراءة تراجم الشعراء والساعتين التي انكب فيهما على مطالعة كتاب "كيف تمسك بزمام السلطة؟" للكاتب روبرت عزين..."([1]). ظهر "المتنبي" معتدا بنفسه، يجلس كالملوك، لم يأبه بمن حوله، يحمل هما كبيرا، متعال ومترفع في سلوكه وحواره يصل أحيانا إلى حد الكبر والتفاخر، وأحيانا إلى حد الغرور "لقد صدق الذين قالوا أنك مغرور فخور بنفسك ... ألا تلاحظ أن سلوكك هذا لا يليق بشاعر كبير مثلك؟ لو قرأت أشعاري لما سألتني هذا السؤال ... أنا شاعر بروح ملك، فلا تقارني ببقية الشعراء"([2]).

المسار الروائي هنا يخالف المسار الشعري والنقدي، فإذا كان النقاد قدموا شخصية "المتنبي" عبر أشعاره، وحاولت الدراسات القديمة والمعاصرة أن تقرأ شخصية "المتنبي" وتتعرف عليه عبر أشعاره، فإن "المتنبي" في النص الروائي هو المطالب بقراءة العالم الذي جاء إليه، هو المطالب بالمعرفة والإدراك لتطور الوسائل والمعارف، هو المطالب بتحليل شخصية الناس من حوله، وهنا مفارقة بين النوعين؛ أعني الشعر والنثر، فبين الفنين في تقديم شخصية "المتنبي" تبادل في الأدوار، فالمفعول في الشعر تحول في الرواية إلى فاعل، ولذلك لم يخرج "المتنبي" إلا بعد مرور خمسة وأربعين يوما انقطع فيها للقراءة والمطالعة دون كلل أو ملل.

هذا الشغف المعرفي لدى "المتنبي" هو الذي شكل البنية المعرفية لشخصية الرواية، وأسهم بشكل كبير في استحضار الأفكار والعلاقات بين الأشياء المتناقضة أحيانا في نسيجه

[1] – السابق، ص١٢٩.

[2] – المتنبي يعود من جديد، ص ١٣٣.

الشعري، مما جعل الكاتب يشير إلى عبقرية "المتنبي" في صوره وتراكيبه البيانية والإبداعية داخل قصائده، وهو ما يعني أن شغف "المتنبي" كان له اسهامه في الموروث الشعري، وفي التجلي الروائي، فمع توافر عنصر الثقافة والمعرفة بين "المتنبي" وأبناء جيله في القرن الرابع، إلا أنه تميز عنهم بعبقريته وخصوصيته، هو ما أعطاه مكانة خاصة حتى لدى من تعقبوا مثالبه ونواقصه، فانشغالهم بأشعاره في حد ذاته انتصار للرجل كونه شغلهم عن أنفسهم بأشعاره.

أَنَامُ مِلْءَ جُفُونـي عَنْ شَوَارِدِهَا ** وَيَسْهَرُ الخَلْقُ جَرّاهَا وَيخْتَصِمُ([1])**

وهنا نلمح الكاتب في ممارسة نقدية يحاول من خلالها تفسير عبقرية "المتنبي"، فتارة يرجع العبقرية في شعره إلى قدرته على مشاركة الناس آلامهم وآمالهم ولما في نفوسهم من صحة فكرة، وتارة يرجع هذه العبقرية إلى قدرته على تفسير أسرار النفس البشرية، وصياغة تجاربه في حكم وأمثال، فهو دائما ينطق بالحكمة ويبعد عن التصنع والتعقيد.

الثقة في النفس:

تجلت ثقة "المتنبي" في أحداث الرواية في أكثر من موقف منها: قدرة "المتنبي" على التعايش والتكسب: فهو قادر على صنع أشياء من لا شيء، صفة ظهرت في صوره الشعرية، وتجلت في أحداث الرواية في مشهد ذهابه إلى السوق مع يوسف، دخل السوق خالي اليدين؛ لكنه نجح في أن يتحول إلى تاجر يربح ثمانمائة درهم، ونجح في اعتراض سبيل الوافدين والتكسب منهم، فقد "دخل إلى السوق خالي الوفاض، وجنى ثمانمائة درهم! ... صدق المهدي حين قال: إن "المتنبي" يصنع شيئا من لا شيء"([2]). بالإضافة إلى ذلك نجح بأن يكون أنيقا في ملابسه بعد أن ارتدى الملابس الحديثة من بدلة وقميص وحذاء، وأناقة "المتنبي" في ملابسه لا تقل عن أناقة شعره، ولا عجب في ذلك فالجامع بينهما الذوق والجمال.

تجلت ثقته في نفسه في انتقاده لحديث الناس المبالغ فيه عن الكرة، وسماها "الجلدة المنفوخة"، وجعلها من أسباب ضياع الأمجاد "لقد ضاع القوم وضاعت الأمجاد حين تعلقت قلوبهم بسفاسف الأمور"([3])، وهنا يتدخل "المتنبي" ليكشف عن جانب قوته البدنية وممارساته الرياضية دون أن

---

[1] – المتنبي: الديوان، ص٣٣٢.

[2] – "المتنبي" يعود من جديد، ص ١٤٨.

[3] – السابق، ص١٤٩ .

يمنعه ذلك مع مجايليه من تحمل عظام الأمور، فقد كان للقوم مكانة وقضية، وهو ما يبدو في الحوار الذي وجهه "المتنبي" ليوسف "يبدو أنك جاهل بالتاريخ يا فتى! ... لقد عرف العرب في زماننا انفتاحا على العديد من الثقافات، وتوفر لي وقتها ما لا يتوفر لك الآن من الرياضات ... لقد لعبت بالصولجان، وسابقت بالخيول، ومارست السباحة، ولعبت الشطرنج، وصارعت الروم والفرس والهنود وهزمتهم!... ولا أظن أن كرتك هذه ستغلبني"([1])، وهنا تظهر قوة "المتنبي" في قدرته على تسجيل هدف في شباك يوسف، وتجاوز قدرة "المتنبي" في ركل الكرة مما أدى إلى تمزيقها، وهو تسجيل من منتصف الملعب لا من موضع ضربة الجزاء، ولعل هنا إشارة إلى بعد الهدف وعدم قربه، أو وضوح الهدف ووجود الرغبة لتحقيقه، وهو مشهد رسم صورتين متناقضتين وعصرين مختلفين لأمة واحدة.

إذا اعتادَ الفَتى خَوضَ المَنايا ** فَأَهوَنُ ما يَمُرُّ بِهِ الوُحولُ([2])**

لقد كانت ثقة المتنبي في نفسه يقابلها فقدان الثقة في كثير من الناس، ولعل هذا ما أودى به في النهاية إلى التخطيط والتخلص من الجميع، بما فيهم رفاقه، دون شفقة أو رحمة، ولم يتهاون في إطلاق النار وإراقة الدماء من مسدس كاتم للصوت "كانت خيبات الأمل التي تلقاها المتنبي في حياته سبباً لافتقاده ثقته بالناس، فأوصله ذلك إلى مرحلة لم يعد يرى فيها من أخلاق الناس إلّا أقبحها، فيما رأى أنّ الناس متقلبين لا يثبتون على مواقفهم، ولا يراعون ودًا ولا يصونون صديقًا، وقد عمّم حكمه هذا على كافة الناس"([3]).

"المتنبي" ناقدا:

ظهرت شخصية "المتنبي" بردائها النقدي في الدفاع عن التهم التي وجهها إليه بعض الخصوم أو ممن جاءوا بعدهم، وهو حوار نقدي يمتاز بالبراعة، يمتد من صفحة- (١٥٥ إلى صفحة ١٩٥)- رد "المتنبي" على القائلين بسرقته للمعاني أو أخذه لمعاني الآخرين، ومبالغته للمدح مما جعله شاعرا مبالغا ومتسولا في آن واحد -على حد زعم الحاقدين- والأمر عنده اعتزاز بالنفس يوصله لدرجة المساواة بالممدوح أو يعليه على ممدوحه، فهو معتز بذاته، مؤمن

[1] – نفسه، ص١٦٤.

[2] – المتنبي: الديوان، ص ٢٦٤ .

[3] – Waleed Ostaz : أبو الطيب المتنبي الشاعر العباسي، أبريل ٢٠٢٢م، https://mawdoo3.com/

بنفسه وقدراته، كما دافع عن نفسه في تهم أخرى مثل: ادعائه للنبوة، وخلو شعره من العاطفة الدينية، ووجود بعض الإشارات الدالة على وهن العقيدة، وغلبة العادات الجاهلية على الآداب الإسلامية في بعض قصائده. أيضا دافع "المتنبي" عن نسبه، ورد على القائلين بأنه ابن سقاء من سوقة الناس، أو أنه لقيط مجهول النسب، كما كان لشخصية "المتنبي" حضورها النقدي المعاصر في بعض أشكال وأنماط القصائد الجديدة، وذكر رأيه بعد قراءته لقصيدة الشاعر "الغطاس بلمختاري" من شعراء الشعر الحر، رفض "المتنبي" هذا النوع الشعري، وعلل هذا الرفض بقوله: "ما دام يقول كلاما لا تفهمه القلوب ولا تقبله العقول، فلن أقيم له وزنا ولن أعده شاعرا حتى، ناهيك عن أن يكون شاعرا فحلا"([1])، وانطلق من نقد القصيدة لنقد المجتمع ووصف ووصف علل الواقع، كما عرفها، وهو ابن الزمن القديم، ورأي أن نشر التفاهات والتعليق عليها أهم عوامل صنع تفاهة المجتمعات والشعوب، فالشاعر العبقري من وجهة نظر "المتنبي" هو الذي "يبسط المعقد لكي يلمس به أكبر قدر من العقول، وليس الذي يقول للقاريء حاول أن تفهم ما أقول"([2])، وهنا كان اعتراضه على رأي "يوسف" بعد أن عقب بالغموض والرمز في بنية القصيدة، والحقيقة أن الغموض والإبهام بحجة الرمز مرفوض، كما أن البوح بكل المعاني يفقد الشعر متعته وقيمته، وأفضل الشعر ما لمح فيه صاحبه دون أن يصرح، و"المتنبي" في رؤيته النقدية دقيق في تعبيراته ومصطلحاته على وعي تام بالفرق بين الرمز والغموض.

تناقض "المتنبي":

طبيعة شخصية "المتنبي" في الرواية تأنف من أن تبدي إعجابها بما يعجب الناس به، فهو مؤمن بالعروبة ناقدا لوضعها، يعبر بحسه ويخطط بعقله، يبدي أسمى المعاني لكنه دائم السعي حول المال والسلطة، فلسانه يعلن خلاف باطنه، ففي أثناء وجوده في مدينة "فاس" وهو يحمل حقيبة الذهب التي حصل عليها من كنز "الشريف"، ترك حقيبته المملوءة بالذهب على الأرض ليتأمل الواجهات والمعروضات، وكان سؤال أحمد عن هذا التأمل، فأجاب: "لقد استلهمت معنى بليغا من ذاك القميص" فعاتبه عن أي المعاني يُعرّض الإنسان مثل هذه الحقيبة للضياع فأجاب: "المعاني أبقى من الذهب، إنها تحمل قيمتها في ذاتها... أما الذهب فلا قيمة له إلا بما

[1] – "المتنبي" يعود من جديد، ص١٩١، بتصرف في بعض الألفاظ .

[2] – السابق، ص١٩٢ .

يمكن أن يشتريه"([1])، ويتجلى التناقض أثناء بحثه عن اسم الله الأعظم، وعندما فشل في الحصول عليه من الشيخ أحمد الفقيه رجل القرآن توجه إلى "فرانشيسكو" الإيطالي في مدينة فاس، وبعد ثبوت فشله في استنطاق قرين الإيطالي، انتقل على الفور إلى تنفيذ عمليه السطو على البنك المركزي. لقد تخلى "المتنبي" في الرواية عن كل شيء مقابل الحصول على المال، فعندما استطاع "الشريف" استخراج الكنز وفرار المحيطين به بعد سماع صوت سيارة الدرك (بناء على خطة رسمها "المتنبي")، انكب "المتنبي" على "الشريف" ليضربه على رأسه فيفقده وعيه، ويفر "المتنبي" بالصندوق مع رفاقه مكتفيا بأن للشريف ربع الكنز عند التقسيم، ويتأكد هذا التناقض بعد معرفة الشريف لحقيقة الصندوق عن طريق الجن والقرين، فعارضه "المتنبي" بقوله: "لم يكن الكنز ملكا لأبيك يا شريف، لقد اغتصبته من الجن، واغتصبناه منك... اعذرنا، إن الحياة فرص ومنافسات"([2])، لقد كان للمتنبي فلسفته التي يتلون بها، لقد لامه "أحمد" على أفعاله التي ظنها شرا، وكانت إجابة "المتنبي" في إطار فلسفته وتعريفه للشر، فالشر متوقف على مصالح الناس ورؤيتهم "الناس لا يعتبرون الفعل شرا إلا حين يعارض مصالحهم، أما حين يوافقها فيرونه خيرا ولو كان شرا"([3])، وكما أن الشر يرتبط بالمصلحة التي تجيزهن فالمنطق كذلك عنده مرتبط بالرغبة أو التشاؤم، فالتشاؤم يولد الخوف، والخوف يولد الفشل قبل أن تجتاز الامتحان أو تخوض التجربة، فالمنطق عنده مخادع يختلف من مكان لمكان، ومن زمان لزمان، ومن ثقافة لأخرى.

ومشهد ثالث من مشاهد التناقض، فقد رفض "المتنبي" علم السيمياء والعمل به، فالسيمياء حيلة العاجزين الذين لا يستطيعون ضربا في الأرض، وها هو سرعان ما يعتمد اعتمادا كليا على السيمياء في التخطيط لسرقة البنك المركزي من أجل غايته الكبرى وهي حكم العرب عامة وبلاد العراق خاصة. مشهد رابع في التناقض عندما اعتدى على الصعلوق الذي اعتدى على أحمد وحاول سرقة حقيبته، انهال "المتنبي" على السارق بسكين مزق به كفه وراحة يده تمزيقا، ولما عاتبه أحمد بأنه بالغ في عقوبة اللص، فاللص صعلوك وقع تحت قهر ظروف جعلت منه

[1] – المتنبي يعود من جديد، ص٢٥٦.

[2] – السابق، ص٢٣٠.

[3] – نفسه، ص٢١٦ .

صعلوكا، علل "المتنبي" بأن الفقر والحاجة لا يمكن جعلهما دافعين للصعلقة، "فهناك من هو أشد فقرا وحاجة ولا يعتدون على الناس، وإنما يعود فعل الصعاليق إلى أصلهم اللعين"([1])، في الوقت الذي مارس فيه "المتنبي" الصعلقة أكثر من مرة، عندما خطط للاستيلاء على كنز الشريف وسرقته، وعندما خطط لسرقة البلد وأخذ أموال البنك المركزي من داخل المسجد، ليصل بهما إلى غايته، سرقة البنك جريمة وخيانة للبلد عدها "المتنبي" دينا سيقوم بتسديده، فالعملية عنده شر صغير لتحقيق الخير الكبير، والخير يتجلى في طموحه الشخصي، فهل كان "متنبي" الرواية في هذا التناقض، هو نفسه "متنبي" الشعر الذي وضع لنفسه قانونا فسار عليه؟:

إِذا لَم تَجِد ما يَبتُرُ الفَقرَ قاعِداً ** فَقُم وَاِطلُبِ الشَيءَ الَّذي يَبتُرُ العُمرا**

هُما خَلَّتانِ ثَروَةٌ أَو مَنِيَّةٌ ** لَعَلَّكَ أَن تُبقي بِواحِدَةٍ ذِكرا ([2])**

وهل عملية التجوال التي استمرت من مكان لمكان بحثا عن المال وصولا للسلطة، هي نفسها الانطباع الذي حرك المتنبي للانتقال من البادية إلى البلدان والعواصم؟، فقد كان دائم الترحال، لديه رغبة في الوصول والهيمنة، وهنا تتفق الرواية مع الشعر في أهم جوانب بروز شخصية المتنبي "ولم يصادف أبو الطيب في البادية نجاحا يقف عنده، ويحاول تنميته؛ لهذا كان دائم التجوال، وكثير الارتحال، يقاسي أيما مقاساة من عنف الطبيعة، بحرها وبردها، ورمالها، وشراسة حيوانها، وغدر إنسانها .... ومن ثم نجد خواطر هذا الضارب في التيه تجفو وتقسو، ولا تزداد إلا رغبة في الانتقام من كل من يقوى عليه، ومن كل من لا يجد سبيلا إليه"([3])

الأنا والذات:

حاول شخص "المتنبي" توظيف كل المعطيات من حوله وصولا لتعزيز وتحقيق مطالبه الذاتية، كشفت أحداث الرواية عن شخصية انتهازية استغلالية لكل من حولها، لقد حاول استغلال الدين في الوصول إلى اسم "الله" الأعظم من أجل استغلاله في عمليات استخراج الذهب، فحاول استغلال معرفة "أحمد" بالشيخ الفقيه العالم الرباني (الشيخ عبد الكريم)، واحتال "المتنبي" على "أحمد" ليصل معه إلى مكان الشيخ الذي يكره السيمياء وأعمالها، وعندما تدارك

[1] – المتنبي يعود من جديد، ص٢٩٢.

[2] – المتنبي: الديوان، ج٢، ص١١٤.

[3] – د/ كمال سعفان: هذا أبو الطيب شاعر المعاناة والتمرد، الزهراء للإعلام، ط١، ١٩٩٥م، ص ١٩، ٢٠.

"أحمد" الأمر وهم بالرجوع من الطريق خشية أن يكتشف الشيخ أمر "المتنبي"، فصرخ في وجه "المتنبي": "أتريد أن تفضحني"، ليرد "المتنبي" "ليست مشكلتي"([1])، وعندما وصلا إلى الشيخ، وهو عالم جليل يقدره الناس حق تقديره، إلا أن "المتنبي" طلب حاجته بتكبر وشموخ دون أدنى تقدير لمكانة الشيخ، لدرجة أنه بادر بالطلب دون إلقاء السلام، فـ"المتنبي" لم يكترث لما حوله، ولم يعكر صفوه أية شيء من المتغيرات أو ردة فعل من حوله.

يؤكد استغلالية شخصية "المتنبي" في الرواية أنه نجح في استغلال المعلومات التي وصل إليها المهدي بعد هروب "يوسف" منهم واتفاقه مع "الشريف" على استخراج الكنز، وقد كان تمسك الشريف بيوسف لأنه شخص زهري يحتاج إليه عند فتح الكنز، وفي الوقت الذي يلقي فيه أصحاب يوسف بالعتاب عليه لما فعله في نفسه، وتعريض حياته للخطر، إلا أنه نجح في الكشف عن أن الشخص الزهري يستخدم بوصفه وسيطا دون أن يذبح، وما يشاع من خطف الزهريين أقوال لعصابات تعمل بالتجارة في أعضاء البشر لتضلل العدالة، ورغم هذا الاستنتاج إلى أنه نجح في استغلال المعلومات لمعرفة مكان وموعد استخراج الكنز، فأخذ يخطط ويدبر، وبالفعل نجح في خطته.

استغل "المتنبي" وجود الرفاق (أحمد والمهدي وعزوز) ونجح في استغلالهم وجعلهم مشاركين له في ارتكاب جرائم الاستيلاء على الكنوز وعلى أموال البنك المركزي، بحجة أن الكنوز أملاك لبشر، والبشر بعضهم أولى ببعض من الجن، وجميع البشر من حقهم المنافسة، يمتلك "المتنبي" رصيدا من الشعر والحجة والقدرة على إقناع الجميع، فعندما اعترض عزوز على المشاركة في الاستيلاء على كنز الشريف لما له من فضائل، فهو الذي عالج عزوز من نوبة الصرع التي كان يصاب بها منذ فترة طويلة، انهال "المتنبي" عليه بأبيات الشعر التي جعلت عزوزا يخضع لرغبة "المتنبي"، لقد كان الاستغلال من أجل الأنا والذات طابعا مهيمنا على شخصية "المتنبي" في الرواية، فهو الذي قرأ من بعيد عبارات مكتوبة على باب المقبرة، أعجب عزوز بحدة بصره، وقدرته على القراءة من مسافة بعيدة جدا؛ ليعقب "المتنبي" "بأن العضو الذي لا يستعمل يضمر"، لقد كان استغلاليا حتي مع فروع الشجر التي وظفها كجزء من مخططه، لقد كان المتنبي أناني الطبع، لديه شهوة السيادة والعظمة، التي خلقت منه طابع القلق الوجودي

[1] – السابق، ص ٢٤٥ .

"والحق أن أبا الطيب كان يحس دائما– هذا القلق الوجودي المدمر، وكان يشعر بالفقد المستمر، وغروب الحياة، مع شهوة عظيمة للسيادة والسيطرة"([1])

المحور الثالث: رواية "رباط "المتنبي"" حسن أوريد:

تنقسم الرواية إلى قسمين: القسم الأول: حلّ فيه "المتنبي" ضيفا على "الأستاذ" في بيته، والأستاذ شخصية جامعية، سياسية، فكرية، ثقافية، مهتم بالشأن السياسي، ومحاضر في معهد "بوردو للعلوم السياسية"، بالدار البيضاء. و"المتنبي" رجل تجاوز الخمسين من عمره، تغلب عليه لهجة أهل العراق. واختيار "المتنبي" للأستاذ اختيار مقصود لشخصية ستقدره حق قدره لمعرفته بأهمية ومكانة الضيف.

حضر "المتنبي" داخل بيت الأستاذ، ودخوله البيت جاء استنادا على سلطته وقوته التي حلّ بها في هذا العصر "وحتى لو أغلقت الباب فسأمرق إلى داخل بيتك، وأدخله من غير استئذان، أنت تعرفني شاعرا، ولا تعرفني إنسانا، ولو أن شعري مرآة لنفسي، تلطف خير لك، تعرفني إذ أقول:

من أطاق التماس شيء غلابا واغتصابا لم يلتمسه سؤالا ([2]).

لقد جاءت أحداث القسم الأول لتضع "المتنبي" في حقيقة العصر والزمان الذي أتى إليه، زمان بات رفع الصوت فيه ضجيجا وصخبا حتى وإن كان الكلام شعرا، وكان لزاما عليه فهم طبيعة العصر الذي حلّ به، شرح له الأستاذ كثيرًا عن المتغيرات والمستجدات التي طرأت على الحياة بشكل عام، واستمر السرد على امتداد هذا الجزء ليجد ""المتنبي"" نفسه في مستشفى "الرازي للأمراض العقلية"، بعد أن تم القبض عليه في مسيرة شعبية بإحدى شوارع المدينة، لينتقل من قسم الشرطة إلى مستشفى الأمراض العقلية.

وتأتي نهاية القسم الأول بمشهد درامي بين "المتنبي" "والأستاذ" في ساحة المشفى في وقت ساعة النزهة والراحة؛ وإذ بالأستاذ قد استيقظ من نومه فوجد نفسه بملابس المرضى، خرج للساحة عاتب ""المتنبي"" الذي يراه وعاتبه "المتنبي" اشتد العتاب وتحول إلى شجار بالأيدي.

---

[1] – د/ عبد العزيز الدسوقي: في عالم المتنبي، دار الشروق ، ط٢، ١٩٨٨م، ص٧.

[2]– المتنبي: الديوان، ص٤١٢.

انحاز الفتي "ابن جني" في صف ""المتنبي""، بينما الفتى الآخر "كافور" انحاز لصف "الأستاذ"، وجميعهم ما بين ركل وركم بعضهم لبعض، ظهر رجل الدين (الفقيه) ليردد: "ذلك بما قدمت يداك"، وإذ بالفتى الأمازيغي يضحك ويسخر منا ويردد: "اتفق العرب ألا يتفقوا"، لم ينقذ الموقف إلا تدخل "الماجور" الذي قام بحقن "الأستاذ"، واصطحبه إلى الغرفة التي كان يهجع بها لينام نوما عميقا.

وجاء القسم الثاني بسرده وأحداثه ليجد الأستاذ نفسه قد حلّ في "المتنبي"، أو أن "المتنبي" قد حلّ في الأستاذ، وهو ما حاولت الدكتوره "مني فنيش" أو "خولة"- كما كانت في القسم الأول- معالجته، عندما أطلقت للأستاذ عنان السرد والبوح بكل ما لديه. فإذ به يعاني من انفصام الشخصية، يعيش في الماضي بأمجاده وسيادته، زال هذا الانفصام بعد تحسنه من حالة الانهيار العصبي التي كان يعاني منها الأستاذ، فإذ بالدكتورة "خولة" اسمها "منى فنيش"، والماجور هو المسعف ومساعد الطبيبة، والمشفى الذي يقع فيه هو مصلحة "بوسيجور" وليس مشفى الرازي، وإذ بالأستاذ يكتشف أنه نزل في المشفى بناء على رغبة مأمور الشرطة، بدأ يدرك جيدا أنه يعيش في صيف عام ٢٠١٧م.

والرواية بشكل عام استحضرت شخصية "المتنبي" فكريا ومعرفيا، لم تعول على صفاته الجسدية والأخلاقية بقدر ما ركزت على قيمته ومكانته وقدرته على معالجة القضايا المطروحة، ومن ثم تشكل في ثنايا الرواية تشابك وترابط فكري وواقعي، أثمر عن العديد من القضايا المرتبطة بشخصية "المتنبي" ومنها: أزمة المثقف العربي – ماهية اللغة- العلاقة بين المثقف والسلطة، ومن خلالها تتجلى ملامح شخصية "المتنبي" داخل الرواية.

أولا: أزمة المثقف العربي:

كان "المتنبي" في حواره وحديثه الممتد عبر الرواية غاضبا من العرب باكيا لهم وعليهم "ليست النكبة حدثا بل حالة، هي لعنة، وهي لا تعالج إلا بالوعي، والوعي لا يكتسب إلا بالذكرى، ولا يتم إلا بالفكر، وسبيله الحلم أو الجنون"([1])، وتجلت ملامح شخصية "المتنبي" في

[1]- رباط "المتنبي": ص٣١٠.

تعلقه بـ"ليلى" محبوبة الأستاذ، وهي رمز للفكر والحضارة العربية في الأندلس، فقد تعلق بها، حاول أن يُظهر امتلاكه لها، هما رمزان وطرفان يكمل بعضهما بعضا، فليلي مثلت فكر الأندلس الذي اندمج مع التقدم والفكر الغربي، و"المتنبي" مثل حضارة وتراث الشرق.

تتفاقم أزمة المثقف العربي حينما يدرك الأستاذ حاله، يحاول أن يستفسر عن "المتنبي"، لماذا أودى به إلى هذا الحال "كنت أحبه قبل أن ينقلب علي ... آويته حين أعرض عنه الجميع، واحتضنته ولم يكن له من يحضنه... بذلت له من عطفي حين أشاح عنه حتى أقرباؤه وأعرض عنه ذووه، صاحبته حين كان يشكو الوحدة ويعاني الهجر ... آويته بيتي وفتحت له صدري وبثثته عجري وبجري. كان أنيس في وحدتي، وكنت أحب فيه من النفس عزتها ومن الشخص همته، ومن القول جزالته..."([1]).

شخصية "المتنبي" رمز للماضي والحاضر، عزيز النفس، ذو همة عالية، حصن من حصون اللغة. لقد سلب "المتنبي" من الأستاذ حاضره؛ ليعود الأستاذ في سرد ممتد يكشف عن العلاقة بين المثقف ومجتمعه، وأن معاناته للحاضر واستدعاءه للماضي وللتاريخ من أجل أن يتعافى الجميع "تزعمين أن أتعافى بالسرد. ولست أريد أن أتعافى وحدي، بل أن نتعافى جميعا"([2]).

بدت شخصية "المتنبي" في الرواية لتعالج قضية فكرية جوهرية تتعلق بالوجود والقيمة داخل فكر الأستاذ والمثقف العربي "قرأت شعر "المتنبي" وحفظته لما كنت يافعا، وكنت حينها أؤمن بسلطان اللغة، وأؤمن بالعرب، وأؤمن بيقظتهم ونهضتهم وقضاياهم، أما الآن فلم أعد أؤمن بسحر اللغة، ولا بسلطان البلاغة بل بقوة الفكر. والفكر لم يعد شأن العرب. ولم أعد أؤمن بشيء يميزهم أو يبعث على الأمل منهم، وأنا أرى ما آلوا إليه... "([3]). لقد كان هدف ظهور "المتنبي" هو التحدث إلى جمهور العرب والمثقفين والمفكرين عبر النفاذ إلى الروح الحقيقية لشخص "المتنبي" "أنا ما حللت بساحتك إلا لأني أيقنت بأن لا أحد حمل رسالتي في زمنك هذا، وأن كثيرًا

[1]- السابق، ص٢١٠.

[2]- نفسه، ص٢١٥.

[3]- رباط المتنبي، ص ١٤.

حفظوا شعري، وشرحوا قريضي، وعارضوا قولي، وتأثروا منهجي ولم ينفذوا إلى روحي .. وهذا الذي جعلني أقطع مراحل الزمان إلى هذا الرباط الذي أنت معتكف فيه، كي أتحدث من خلالك لهذه الجموع المكبة على وجوهها من غير هدى"([1])، شخصية "المتنبي" شخصية محورية ترى في نفسها السلطة والهيمنة والقدرة على التمكن والمخاطبة والإقناع.

لقد كانت قضية وأزمة المثقف العربي والاغتراب الثقافي أول الملامح التي تجلت منها شخصية "المتنبي"، فالأستاذ يشرح لـ"محجوبة" –الخادمة– طبيعة وخصوصية ضيفه، فهو ضيف يشكو الهجر وقد جفاه أهله، ويلزمني حسن الرعاية به، بعد أن كانت لديها قناعتها بأن "المتنبي" وأقواله ضرب من الجن والجنون معا سكن الدار، بل هو الجني الذي فرق بينها وبين زوجها، هو الغريب عن الناس إن خرج إليهم أفسد أمورهم، لقد جاء "المتنبي" من القرن الرابع الهجري ليعيش في عالم غريب تماما، وجوده الفعلي يختلف عن أثره الثقافي؛ إنه يسكن أروقة المدارس العتيقة بين صفحات طلاب الشهادات يكررون سيرته وتقلباته بين الممدوحين دون أن يضيفوا جديدا. لقد كان وجود الخادمة في بيت الأستاذ أهم من "المتنبي" وشعره "أحذرك أمري لأن محجوبة آثر عندي من قول فخم وشعر جزل لا يسمن ولا يغني من جوع"([2])، وهنا تتجلى شخصية "المتنبي" في قدرته على قراءة الواقع الجديد، بعد أن استطاع أن يطمئن الخادمة، ويعيب على الأستاذ فكره في التغيير، فالواقع الحالي عند "المتنبي" هو ما كان في الماضي، "لأني اختلست النظر، واطلعت على ما يجري، ورأيت أن عالم الجواري لم يندثر، والصلات فاشية، والبطش مستحكم، وتوظفون الدين كما وظفه سابقوكم"([3])، وهنا جاءت لغة الشعر لتستأنس بها الخادمة، فاستأنست بشعر "المتنبي" وترنيماته– وإن لم تكن تفهم منها شيئا.

رباط "المتنبي" لم يكن في بيت الأستاذ، وإنما تمثل في اختلاط الأماكن والأزمنة، هذا الاختلاط اصطحب معه شباب الكاتب وماضيه ومستقبله بتراثه وحضارته وحنينه إلى الأندلس والشام والعراق، هي جروح انسل منها "المتنبي" ليحل في فكر المثقف العربي (الأستاذ).

---

[1]– السابق"، ص١٥

[2]– نفسه، ص٣٥ .

[3]– نفسه، الصفحة نفسها.

إن أزمة الثقف العربي مثلت المحور الجوهري حول الأزمنة الثلاثة، ولعل معاناة الأستاذ عندما تركته "بشرى"- وهي عنده أواصر الارتباط العربي الأندلسي- فبتركها له ظل في معاناة أصابته بالمرض، تعايش في رحلة مرضه بما كتبه "القصيبي" عن "المتنبي" وكيف تنكر له، عاتب "بشرى" في موقفها، وصل به الحال إلى صراع نفسي متأزم، يعاني في فراشه من الوحدة واختلاط الأزمنة، زاد منها رفض صاحب المطعم تقاضي ثمن وجبة عشاء كانت له حينما كان يجالس "بشرى" التي نفرت منه وتركته وانصرف خلفها "فاجأتني بأن صاحب المطعم لا يقتضيني شيئا. بعثتها ثانية مذكرا إياها بعشائي حين نفرت بشرى. رددت محجوبة على مسامعي ما قاله لها أنني لم أقصد مطعمه الليلة تلك. أردفتْ، مما أثار حفيظتي، أن بشرى لا توجد. صرخت في وجهها، وكيف لا توجد؟ أيكون كل ما أنتج عن علاقتنا توهما؟...."([1]).

تسللت شخصية "المتنبي" من الوجود الخارجي الذي انتهي بدخوله مستشفى الأمراض العقلية إلى الحلول الداخلي في نفس الأستاذ بعد معاناته من الوحدة والغربة، فهيمنت على الأستاذ حالة من المونولوج الداخلي، جعلته يسترسل في إعادة كل المواقف والذكريات التي جمعته بـ"بشرى" منذ التعرف عليها، وصولا إلى اللحظة التي هو فيها، مرورا بذكريات السفر والترحال عبر اسطنبول وقرطبة وغرناطة ... وغيرها من البلاد الأخرى التي تحمل عبق العروبة من قريب أو بعيد، مع وقوفه في تفصيل بعض الرحلات والسفريات بشكل يستحضر دائما معالم الحضارة العربية وما كانت عليه، لتظل أزمة الاغتراب في حالة استمرار، فالهجرة قد لحقت بـ "بشرى- "المتنبي"- الطبيبة خولة"، حاول الخروج من وحدته لزيارة "المتنبي" في مشفاه، فإذا بـ"المتنبي" يتكلم باللغة المغربية الدارجة، ويتوجع بذم الفراق ويشكو ألمه، فإذا بحال "المتنبي" هو حال الأستاذ "كنت أود أن أسرِّي عن نفسي بزيارة "المتنبي"، فإذا حاله شبيه بحالي. غلبه الأسى مثلما غلبني ..."([2])، صار "المتنبي" شخصا غير الذي تركه الأستاذ قبل مرضه، وعاد من

[1]- رباط المتنبي، ص١٤٦.

[2]- السابق، ص١٦١.

المرض ليجد شخصا آخر "غريب أن يفكر فيما أفكر فيه، ويشاطرني أحكامي، والأسوأ حالي، ويعبر عن ذلك بلساني"([1]).

كشف الأستاذ في سرده عن علاقة التشابه بين فلسفة "المتنبي" و "نيتشة"، واستمر في حواره يقارن بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون، في حوار مفتوح مع الطبيبة لم تكن جدواه إلا أن "المتنبي" سيعاني معاناة كل أصحاب الفكر، بداية من "أبي العلاء المعري"، وصولا إلى "طه حسين" وكل أصحاب الفكر التنويري في زمننا هذا، وجميعهم ينظر إليهم بوصفهم ضيوفًا ثقالًا، فحوار الأستاذ جاء محفوفًا بالعديد من الأسئلة التي كانت تتبادل فيها أدوات الاستفهام؛ ليكون بداية السؤال بـ لماذا؟ بدلا من كيف؟ بهدف البحث عن غاية الأشياء، فهو لم يستطع أن يتستر على الزيف، إنه سيل من الأسئلة المطروحة التي تمتزج فيها الأزمنة، وتختلط فيها الهوية، وإن ظل يتساءل أكثر مما يجيب، فالإجابة تتطلب استدعاء ووجود وكيان، وهو ما أودعه داخل المشفى.

تكمن أزمة المثقف في ثورته المشتعلة الدائمة، خاصة على الموروث المتداول دون مناقشة، وهنا يسرد طرحا يستوجب ثورة فكرية، مستدعيا المواقف والأحداث من الآداب العربية والعالمية: (شكسبير– روميو وجوليت– أوديب– داحس والغبراء– البسوس ...) وكلها ذات صلة من قريب أو بعيد بواقع يراه الأستاذ في عيون "المتنبي" "هل تحسبين داحس والغبراء سجلا من الماضي، ولا الشنآن ما بين بكر وتغلب، فترة من التاريخ مضت وانقضت؟ ذلك ما كنت أحسبه وقد غلبت عليّ سذاجتي. كلا. هي حاضر يمشي على رجلين– كما هو تعبير هيغل– والويل لمن مال إلى بكر من تغلب، والويل لمن مال من تغلب إلى بكر، والمرصاد لمن التزم الحياد ونادى بإصلاح ذات البين ما بين بكر اليوم وتغلب اليوم. ولبكر وتغلب كليهما عصائب تهتدي بعصائب..."([2]).

هيمن على سرد الأستاذ رحلات المفكرين أمثال: (ابن خلدون – توماس بين– فولتير ...) تطرق إلى الإصلاح، وإلى الثورة على الخطيئة، والانتقال من الإنسان إلى الله أو من الله إلى الإنسان، والثانية هي المبرر للحروب المقدسة ومحاكم التفتيش والحسبة والفريضة الغائبة ...

[1]– رباط المتنبي، ص١٦١.

[2] – السابق، ص ٢٩٩.

وهلم جرا. كشف عن صراع مستمر للإنسان مع ضميره وغريزته وعقله، فالغريزة تدعو للحياة، والعقل يدعو للفهم، والضمير يدعو للأخلاق، وبهم تستقيم الحياة. ظهر "المتنبي" بفكره وموقفه من المجتمع، وكذلك الأستاذ الذي استدل بما قدمه "محمد عبده" في كتابه "رسالة التوحيد" وبما قدمه "علي عبد الرازق" في كتابه "الإسلام وأصول الحكم" فالأول قدم رؤية متحررة للنص، والثاني ميز بين الدين والسياسة؛ فما كان من المجتمع إلا أنه أجهز على الأول وأعلن تكفير الثاني. لقد كان حضور "المتنبي" ضرورة لما له من قدرة على الحضور والاحتواء والسيطرة، وهو حضور أدى إلى التناقض الروحي والجسدى أحيانا داخل الكاتب، خاصة أن الكاتب حاول ضبط "المتنبي" متلبسا مع محبوبته ليلى ليقيم حجة الخيانة عليهما، فبدا نقيضان للكاتب بدلا من أن يكونا له نسيجا واحدا، وهو افتراق مقصود واقع بين حضارة الشرق والأندلس.

لقد كان حضور شخص "المتنبي" كشفا عن واقع أليم، واقع محكوم بالمصلحة والتجارة والذات والأنا، واقع أوشك فيه العرب على الخروج من الجغرافيا بعد أن أخرجوا أنفسهم من التاريخ الجديد، فبدا "المتنبي" الذي ترك لغته وأوشك على إلقاء شعره بالأمازيغية لولا أن توسلت إليه "الزهرة" (ممرضة) واستجداه "كافور".

ظل "المتنبي" حاضرا في الرواية بقريضه ولغته التي استأنس بها الأستاذ بعد أن ماتت "ليلى" جراء حادث سير ارتطمت سيارتها بعمود كهربائي، وقد كانت بصحبة رجل فر هاربا أيقن الأستاذ أنه "المتنبي"، وقد حمله مسئولية قتلها، فهو الذي أغوى ليلى بسحر قريضه فصرفها عن التركيز. لقد كان حضور "المتنبي" مرتبطا بكل تفاصيل الرواية ، فقد استطاع الكاتب أن يربط سنوات التاريخ المتعاقبة من "المتنبي" إلى الأندلس "ليلى" "فابيوس"([1])، وتعانقت حالة "المتنبي" بحالة الأستاذ في استدعاء أبيات "المتنبي" في رثاء محبوبته "خولة" ليرثي بها الأستاذ محبوبته "ليلى". إن حضور "المتنبي" هنا حضور للوجدان الفكري العربي، هذا الحضور هو الذي أعطى شخصيته أحقية الحلول والوجود في عالمنا المعاصر، وهو حضور متعمد من الكاتب أشبه

[1] – فابيوس: هو سامي ابن ليلي من الأب روبرتو، عاش في الغرب (فرنسا) وكان حاملا للتراث اللاتيني، تربي مع الأستاذ بعد زواج أمه من الأستاذ، وقبل أن يكون ابنا له بالتبني.

بالحقن والإفاقة والإسعافات التي تهدف إلى إحياء الإدراك الحقيقي والفعلي للواقع، والتعافي من مرض التبلد الذي يراه الكاتب متفشيا في أمتنا العربية.

ثانيا: ماهية اللغة:

كان "المتنبي" حاضرا ببنيته الذهنية وتفكيره العقلاني، في معالجة قضية اللغة والإبداع والعلاقة بينهما، وماهية اللغة بشكل عام، فقد عرض في سرده بعض سير كبار الأسلاف وأفكارهم وكتبهم، يعلل تفضيله لصحبة "المتنبي" دون غيره، لما للشعر من صولة ليست للنثر، والشاعر عنده أكثر الأدباء قدرة على صياغة وجدان الأمم، و"المتنبي" دون غيره عامة ودون "أبي العلاء" خاصة هو الأحق بالحضور والصحبة؛ لأنه عقلي سياسي "ولكني فضلت "المتنبي" لشعره وحياته، المعري راهب، و"المتنبي" مهووس بالفعل، تمرس بالسياسة واكتوى بلهيبها، ونسغ الفكر من الفعل، من السياسة وضروبها، ولو تولى المرء منها بخيبة كما أفلاطون، كما شيشرون، كما ابن خلدون، كما ماكيافيلي، أحترم الرهبان، ولكن سبيلهم غير سبيلي. لذلك أحببت "المتنبي"، حسبت أنه سيكسر لعنة العالم السامي. على الأقل لدى بني جلدته. وقد سبق لي أن حكيت لك عن سفره إلى عهد الإغريق ومجالسته لأرسطو طاليس والإسكندر وهزئه من عالم الأعراب وبطولات الأعراب مثلما هزأ منها نزار قباني..."([1]). إن الحضور الإبداعي هنا حضور مصحوب بفلسفة "المتنبي" النابعة من إعمال الفكر والاستهزاء بالمظاهر والشكليات، وهو حضور مختلط بذات الكاتب والأستاذ؛ حضور موسوعي يربط بين كل حقول المعرفة والعلوم الإنسانية؛ بين التاريخ والفلسفة والفكر، بين الإبداع والعقل، بين القدرة والواقع، سرد مصحوب بنكهة واقعية لا يمكن إنكارها. واللغة هنا ليست حرفية بقدر ارتباطها بالفكر المطروح "وللحروف في لغة العرب معان، وهم لم يعودوا يدركون فروقاتها. لا يعرفون معاني الحروف ولا حروف المعاني. لا يستنبطون بطون القواميس وكنوز التراث كما لو أن لغتهم يمكن أن تنهض لوحدها بقدرة قادر. ولا هم يقرؤون الواقع، أو يسعون أن يربطوا الصلة بين الماضي والحاضر، واللغة لا ترتقي بخربشات متحزلقين ..."([2]). لقد شرع السارد في معالجة قضية الابتذال – إن صح التعبير– لقد عاب الكاتب على المثقف والمجتمع من حولهما ما وقع فيه الجميع من ابتذال وتدني مستويات

[1] – رباط المتنبي، ص٢٥٩.

[2] – السابق، ص ٢٩٩.

الذوق اللغوي والإبداعي بشكل عام، لقد كشفت علاقة الارتباط بشخص "المتنبي" عن مبررات ترك السارد لهذا العالم المختزل في المتع والمؤامرات والوشايات، وخروجه من مجالس الأنس والديوانيات والنزاهات والمنيات، كان الخروج من هذه العوالم مصحوبا بمستشفى الأمراض العقلية، و"المتنبي" نفسه لقى مصرعه على يد من له ثأر لقول فاحش في أمه (ضبة).

لقد تجلت شخصية "المتنبي" بقوتها وذاتيتها عندما اختلط واقع الأستاذ بعدة حضارات، فقد أقدم "المتنبي" على أخذ حليلة الأستاذ "ليلى" التي درست الطب في فرنسا وتعلقت بـ"بروبيرتو" الإيطالي، وهو مهندس معماري تعلقت به "ليلى" وأنجبت منه "فابيوس" أو "سامي" الذي التصق بالأستاذ من الناحية القانونية الرسمية، فاجتمعت الثقافة العربية والفرنسية والإيطالية، والكاتب يضعنا هنا في مركزية الانحطاط الفكري عندما استطاع الأستاذ أن يغير اسم الابن وينسبه إليه، ولو أراد أن يحصل له على شهادة تجعله من سليل الدوحة الشريفة لفعل، وعندها ينتهي الأمر بـ:فابيوس" ونسله من النسب الشريف، هذا السرد المعقد الذي يراه الأستاذ جوهريا في خصوصية الذات العربية هو الذي أصابه بمرض (الذهان) مع أعراض هلوسة وهذر "تريدين أن تعالجيني، لأنني مجنون، وأحرى بك أن تعالجي مجتمعا موبوءا وثقافة مجنونة وحضارة أصابها الصرع ..."([1]).

هذا المجتمع بكل ما فيه من معايير مغلوطة يلقي بكاهل التبعية على المثقف والمفكر وحده ويجعله ترسانة الحفاظ على اللغة وهويتها في الوقت الذي يتنصل هو ذاته من تبعية ومسئولية الحفاظ على هويتها بعد أن انصرف إلى مغازلة الغواني الحسان "تصوري قبيلا يعهدون لمغفل مثلي أن يتعهد أمهم العجوز وقد أصابها الخرف وأثقل عليها الوهن واستبد بها الجنون، فيمسح لعابها، ويصطبر على هذيانها، ويحملها لقضاء حاجتها، فيما هم قد نفروا يغازلون الغواني الحسان. فإذا أنا عبرت عن تأففي، صرخوا في وجهي وبثوا وراء ظهري أني عاق كنود. قسمة ضيزى دكتورة، ولم لا أتعهد أمي؟! وليس بأمي عجز ولا هوان ..."([2]).

[1] – رباط المتنبي، ص٢٥٥.

[2] – السابق، ص٢٥٥.

لقد أصبحت اللغة إرثا ثقيلا على العصر وعلومه، وقد أتقن شيخه ذلك. فقد عهد إليه بإرث الضاد وتعهد أولاده بلسان العصر "أسند لي أن أحفظ لسان الضاد، وعهد لبنيه أن يتقنوا لسان العصر وعلومه، ذلك أنه وضع أبناءه في البعثة الفرنسية ... والتقيتهم في مسار حياتي ومهامها سادة يمسكون أعنة الحكم والتدبير ... وأنا أمسك رأس القاعدة النحوية ... وذيل الحياة"([1]). لقد كانت شخصية "المتنبي" هنا إدراكا لجوهر اللغة وجماليتها، رمزا يصلح للإشادة والتباهي به، كيانا عربيا جوهريا قادرًا على أن ينفذ إلى عديد من الحضارات والثقافات الأخرى، بحفاظه على الوجود والفكر العربي، وهو ما أثار إشكالية ترجمة الإبداع للمتنبي وابن خلدون والمعري ... وغيرهم من أساطير العرب، فهم أصحاب إرث ثقافي قادر على النفاذ إلى عمق اللغات الأخرى، ولو بأقل تقدير بالحفاظ على عمق الفكرة، ساعده في البوح على ذلك علاقة "فابيوس" أو سامي بالثقافة الأوربية (فرجيل- جوفينال- سينيك)، ولعل الأخير كان له ارتباط خاص لما له من أصول قرطبية أندلسية ترتبط بأم سامي من ناحية، ولما له من دور سياسي تجاه "نيرون" من ناحية أخرى. تكونت شخصية "المتنبي" داخل الرواية وارتبطت بالجوانب الثقافية والتاريخية على اتساعها، لتصنع نوعا من المفارقة الحاضرة التي لا تنقطع على مستوى كل الثقافات العالمية، وهو ما شكل نوعا من عدم التتابع داخل متن الرواية وإنما أخذ شكلا من أشكال السرد والبوح المطلق "إن الرواية العربية إلى بداية الستينات، كانت لا تعرف غير نظام التتابع أصلا لصوغ متونها، وليس ذلك هو شأن الرواية العربية وحدها، بل إن هذا النظام كان ومازال مهيمنا في الفن القصصي، وربما يعود ذلك، فيما يعود، إلى تأثير فن الخبر التاريخي في الفن القصصي، فمن أخص خواص الخبر تأكيده على نقل الواقعية الإخبارية، نقلا متتابعا دون إجراء أية انحرافات تخلخل من بنية متنها، وربما تعد السير الكبرى مثالا متقدما لنظام التتابع في الأدب العربي القديم"([2]).

[1] – نفسه، ص ٢٥٦

[2] – عبد الله إبراهيم: المتخيل السردي، مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٠م، ص١٠٨.

ثالثا: العلاقة بين المثقف والسلطة:

علاقته "المتنبي" بالحكام والأمراء بنيت على أساس من الندية والعنفوان، فلم يخضع للتبعية أو الإذلال، وإنما وضع من خلال علاقته بسيف الدولة استراتيجية جديدة للعلاقة بين المثقف والسلطة، وانتزع من علاقته بكافور هيبة الحاكم، وحوله من المدح إلى السخرية والتهكم، ويكفي أنه اشترط على سيف الدولة "أول اتصاله به أنه إذا أنشده مديحه لا ينشد إلا وهو قاعد، وأنه لا يكلف تقبيل الأرض بين يديه"([1])، وعلاقة "المتنبي" بالسلطة بدت في الرواية لحظة اعتقال "المتنبي" بتهمة التجمهر بدون ترخيص عندما خرج من مسكن الأستاذ ليجد التجمهر، وأخذ في إنشاد شعره والتف الناس حوله، وفروا جميعهم هاربين حالة وصول الشرطة، إلا أن "المتنبي" بقى مكانه وتم القبض عليه، وعندما تفهم العميد حقيقة الأمر من الأستاذ، بدأ يتعامل معه على تمرده القديم (اعتناقه للتشيع– دعوة القرامطة للتجمهر والثورة..)، وهي أمور عدَّها العميد مدعاة للتخريب ضد النظام، وعليه تم وضع "المتنبي" بوصفه مجنونا داخل مشفى الأمراض العقلية. وفي المشفى عمل "المتنبي" على إعادة مجد العرب فأحيا مجلس سيف الدولة، و"المتنبي" حوله، ومعه كافور وابن جني والزهرة ... وغيرهم من الجمع والحضور، يقول الشعر ويدعو النزلاء للاحتفاء بسيف الدولة، وقد أحسن التجسيد بشكل حرفي في الاحتفال بانتصار سيف الدولة على الروم. لقد سافر "المتنبي" إلى التاريخ وأعاده من جديد، بدت شخصيته في الرواية يغلب عليها التعالي والغلو والمبالغة في قوله، خاصة القصائد التي أنشدها في الحفل، وهو غلو مرتبط بتبادل مصلحة الشاعر وحاجة الحاكم، تلك العلاقة التي سرعان ما تتبدل عندما ينتابها شيء من القصور والخلل، يجعل أحدهما في مفترق عن الآخر، يبحث عن حاجته من وجهة أخرى، ولعل هذا ما عايشه "المتنبي" في حله وترحاله بانتقاله من مكان لآخر، زاد ذلك انتقاله في الرواية من "الزهرة" إلى الطبيبة "خولة" في علاقته بهما، فقد مثلت المرأة في الرواية نوعا من أنواع سلطة الذات عند "المتنبي" ضمن سلطات أخرى كان يسعى إليها.

امتدت العلاقة بين المفكر والسلطة في المساحة الحوارية التخيلية للأستاذ، وقد استعاد فيها بعض المواقف له مع مفوضية الشرطة في فترة شبابه، ليتأمل حال "المتنبي" في قبو الكوميسارية

[1] – يوسف البديعي: الصبح المنبي عن حيثية "المتنبي"، تحقيق مصطفى السقا، ومحمد شتا، وعبده زياد، سلسلة ذخائر العرب، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٩٤م، ص٧١.

في حوار متخيل ممتد بين الأستاذ و"المتنبي" مفاده أن المفكر يحل ضيفا على زمان غير زمانه بعيدا عن المشاركة فيه إن لم يكن عالة عليه. ولذلك كانت أشعاره وقصائده غامضة على كل من حوله في المشفى، لم يفهمها سوى الفقيه والأستاذ، وهو ما جعل الأستاذ يفضل بقاء "المتنبي" في داخل المشفى لعدم تعرضه للخطر، فمن حسن حظ "المتنبي" "أن الناس عندنا لا يقرؤون ولا يعون ولا يتدبرون ولا يتفكرون"([1]). لقد نسجت الرواية خيوط العلاقة بين المفكر والسلطة فصنعت نوعا من التوليف بين الفنون الأدبية الشعر والنثر والتاريخ والفلسفة، وغيرها من العلوم والمعارف بشكل عام، هذا النسج هيمن على الإبداع الروائي الجديد "ولما كانت الرواية العربية تمر بمرحلة تجريب غنية، سواء في مستوى الأبنية والسرود، أو في الرؤى والمتون واللغة وغير ذلك، فلا يمكن غلق نظم الصوغ فيها على عدد محدود من النظم، هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية فإن الحاجة تظل قائمة إلى استحداث نظم صوغ جديدة تمنح الرواية إمكانية أكبر، وليس لصوغ متونها حسب، بل تعبيرًا عن موضوعاتها"([2])، تمثل هذا التوع في استحضار الكاتب "المتنبي" في شبابه، فقد استهوته ثورة التمرد وانتقل من ممدوح لآخر، واستقر به المقام في حضن سيف الدولة، ونجحت الدسائس والمكائد وأطماع "المتنبي" أيضا في إخراجه إلى كافور بمصر، ثم الهروب بعدها لعضد الدولة البويهي، وهو ما صنع في بطل الرواية نوعا من السخط على النظام السياسي وحنينا إلى الرغبة في تحقيق الذات، وظهر في الرواية عندما تقرب "المتنبي" من الدكتورة خولة، وتقربت منه لتسأل عن حياته، تحاول أن تتفهمه وتتقرب منه، الأمر الذي وصل إلى الاحتضان وأجهش "المتنبي" في البكاء بسببه، وبقيا متعانقين ردحا غير يسير، الأمر الذي لفت انتباه الجميع حولهم، وبسرعة تطورت العلاقة بينهما، الأمر الذي جعل الدكتورة تقابل "المتنبي" في تمام الحادية عشرة مساء في بناية المشفى، في الظلام، وقد أتقن "المتنبي" اللغة الفرنسية دون لكنة أو خطأ، الأمر الذي أسقط "المتنبي" من نظر الأستاذ، لكنه سرعان ما أدرك أن الأمر صدى صوت "المتنبي"، فقد كانا ("المتنبي" والأستاذ) على موعد مع واقع محفوف بالمعاناة، واقع كما كان في الماضي لم يتغير منه شيء، ليستحضر الأستاذ معطيات كتاب "عبد الله القصيمي" "العرب ظاهرة صوتية" ويبدأ في نقد وعرض محاكمة المؤلف للمتنبي

[1] – رباط "المتنبي"، ص ٩٢.

[2] – عبدالله إبراهيم: المتخيل السردي مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة، ص١١٥.

على المستوى الإنساني والأخلاقي، ففيه أحكام تسلب "المتنبي" إنسانيته، وتقشعر منها الأبدان، ليحمد الله على ما آلت إليه الأوضاع بإيداع "المتنبي" داخل مشفى الأمراض العقلية، فلم يكن البديل إلا تهمة الإرهاب.

لقد كشف عالم البوح داخل نفس الأستاذ عن مشاركة فعلية بين شخصيته وشخصية "المتنبي"، فمن دوافع الربط بينهما الميل إلى التأمل، والنظر إلى ما في باطن النفس "اشتركت أنا و"المتنبي" في حب امرأة، أو إن تريدين كلاما غير كلام المجانين، اشتركت أنا وامرأة في حب "المتنبي"، وكانت تحمل روح الأندلس، وكانت تريد أن أفتح لها مغاليق فردوس انغلق ..."([1])، وعندما يستطرد الأستاذ في عالم البوح، لم يكن سرده إلا حقن لكل من حوله، فكانت كلماته وحكاياته ووعيه الذي جعله نزيلا في مشفى المجانين أدوية يسير مفعولها في أوردة كل من حوله، لتعطيهم مصل التعافي من هذا الواقع المأزوم، سرعان ما استطاعوا التخلص منه بهروب "المتنبي" ومن معه خارج المشفى، وقدرتهم على التخطيط لهذا الهروب خارج المشفى وخارج البلاد. فلم يكن حقن الماجور للنزلاء إلا رغبة منه في الاستمرار في هذا الجنون، فقد كان الماجور على علاقة بالأمن، يمدهم بمعلومات عن النزلاء، وكان على خلاف ما تأمر به الدكتورة يضاعف من الحقنة المسكنة؛ كانت غاية الدكتورة علاج المرض والدفع بالبوح واستعادة الوضع الطبيعي، أما الأمن ومندوبه الماجور فكانت غايته مضاعفة المرض واستمرار المريض في حالته دون أن يتعافى منها "أما الأمن من خلال الماجور فكانت غايته هي محو القرص الصلب، ومحق الذاكرة، والقضاء على الحلم، من أجل التدجين النهائي للنزلاء"([2]).

وجاءت ردة الفعل التي لم يتوقعها الماجور عندما جاءته رسائل متتابعة من هاتف الممرضة جميلة عبر الواتس تخبره بهروب المجانين، سرعان ما تأكد الماجور من الخبر، واستمرت جميلة في إرسال رسائلها، وكانت تسع رسائل، الأولى والثانية: تخبره بهروب المجانين، وأنها هربت معهم، والرسالة الثالثة: من كافور يذكر الماجور بأنهم ليسوا أشخاصا وإنما هم فكرة وقناعات يستعصي على الأمن ضبطها، والرسالة الرابعة :من "منى فنيش" الطبية التي رأت في هروبها خروجا على قيود الإهانة، وقطعا لحبال الذل والعبودية والخضوع والاستسلام، والرسالة

[1] – رباط "المتنبي"، ص ٣٣٨.

[2] – رباط المتنبي، ص٣٤٣.

الخامسة: كانت من "جميلة" تحذر وتذكر الماجور بفعلته الشنيعة في حق المواطنين في الرباط، فجميلة أحبت "ابن جني"، والدكتورة "منى فنيش" أحبت "المتنبي" بعد أن اختارت فضح الزيف، وقد ضحت بوضعها ومكانتها من أجل الحقيقة، وفضلت صحبة المجانين. والرسالتان السادسة والسابعة: من "جميلة" أيضا بعد أن غادروا المطار، وقامت بإرسال عدة صور للجميع، تأكيدا على صحة ما نقلته إليه من خروج وهروب. هنا تنتهي أحداث الرواية وقد اتخذ الماجور قرارا بعدم إبلاغ الأمن بحقيقة هروب المجانين (من وجهة نظره) وفضّل أن يستمر في إمدادهم بتقارير وهمية كاذبة عن نزلاء لا وجود لهم داخل الرباط، ليظل الوضع على الورق يوحي أن المجانين مخدرون، والأمر تحت السيطرة.

نتائج الدراسة:

توصلت الدراسة إلى بعض النتائج، المتمثلة في النقاط الآتية:

١- قدرة "المتنبي" على الحضور في العصر الحديث، داخل الإبداع الأدبي بوصفه رمزا وسفيرا للفكر العربي، وممثلا للإبداع العربي واللغوي بما له من ملكات خاصة.

٢- جاء هذا الحضور معتمدا على رصيد بقاء "المتنبي" الأدبي الذي أجمع على حسنه الجميع، وان اختلف بعضهم حول شخصية "المتنبي"، إلا أن الاتفاق المجمع على حسن أدبه مثَّل له الحضور والقدرة على العودة والهيمنة للفكر العربي من جديد.

٣- حضور "المتنبي" في الروايات حضور متقارب زمني؛ فالفترة الزمنية تكاد تكون واحده (٢٠١٨م- ٢٠١٩م) باستثناءات قليلة، هذا التقارب يكاد يشبه جرس الإنذار بضرورة العودة إلى الهوية والكيان الغائبين عن الواقع، ويمثل هذه الهوية العربية حضور "المتنبي" أكبر شعراء العربية على الإطلاق.

٤- جاءت لغة الروايتين ممزوجة بالعديد من الأبيات الشعرية، التي مثلت ركيزة أساسية في صوغ الحوار، وتحريك مسيرة الأحداث في الإبداع الروائي، فمثل الموروث الشعري الخاص بـ"المتنبي" لغة أصيلة داخل لغة الإبداع الروائي.

٥- تجلت شخصية "المتنبي" في رواية "المتنبي يعود من جديد" بالعديد من السمات الخاصة بتكوين طباع الشخصية السلوكية والأخلاقية، التي جاء بعضها موافقا لما خلفها شعره، وبعضها الآخر جاء مناقضًا لسمات شخصية كبيرة كـ"المتنبي"، وهي سمات في هذه الرواية تتعلق بالجانب السلوكي بـ"المتنبي"، فظهر الإصرار والاعتزاز، والثقة في النفس، والأنا والذات، وجاء التناقض في المبالغة بالأنا والذات، والتخلي عن بعض المباديء مقابل الإغراء السلطوي أو المادي.

٦- سادسا ظهر "المتنبي" في رواية "المتنبي يعود من جديد" كثير الترحال، ولعل هذه السمة مشتركة بين صورته في الموروث الشعري وصورة ظهوره في الرواية، وهذا يرجع إلى طبيعة خاصة بشخص "المتنبي".

٧- توحدت في رواية "رباط المتنبي" شخصية الكاتب مع شخصية "المتنبي"، وكان استدعاء "المتنبي" لمعالجه العديد من القضايا العصرية، فقد اتخذ الكاتب من "المتنبي" صوتا

للبوح بما فيه نفسه، وبما في نفس أبناء جيله من مفكرين وأدباء، فتجلت عديد من القضايا الفكرية مثل: أزمة المثقف العربي- ماهية اللغة ومكانتها- العلاقة بين المثقف والسلطة، فاختار "المتنبي" أن يكون ضيفا عند الأستاذ المثقف، وهو إيمان بدور ومسئولية المثقف- شاء أم أبى- تجلى ذلك من خلال قدره الكاتب على الربط بين هذا الحضور والثقافة العربية وغيرها من ثقافات الأمم الأخرى.

٨- غابت من رواية "رباط المتنبي" السمات الشخصية الجسدية أو السلوكية- باستثناءات قليلة- وكانت تبوح كل الأحداث حول الوجود والواقع العربي الذي بدا بأسماء وأماكن تراثية، لتتحول هذه الأشياء التراثية مع استعادة وعي الأستاذ إلى مسميات عصرية خارج نطاق العروبة، فقد كانت مستشفى الرازي- والرازي رمز في المقام الأول- وهي التي انتقل إليها. وعندما عاد للوعي أدرك أنها مستشفى بوسيجور.

٩- أدرك "المتنبي" قيمته الأدبية في الروايتين ففي، رواية " المتنبي يعود من جديد" دافع عن نفسه، وعما أثير حوله من أقوال نقدية وبلاغية، وفي رواية "رباط المتنبي" كان الحضور فكريا بشكل كبير، فقد ركز الظهور على معالجه عديد من القضايا الفكرية حاول من خلالها نشر الوعي وإيقاظ الأمة من سباتها العميق.

١٠- اشترك متنبي الشعر مع متنبي الرواية في نفس النهاية التي انتهت بالهروب من النظام السياسي، وكأن الوضع القديم لم يتغير منه شيء في داخل الفكر والوجدان العربي عموما.

المصادر والمراجع:

أولًا: المصادر:

١- عبد الله الجكاني: "المتنبي" يعود من جديد، ط٢، دار تسراس للنشر والتوزيع، ٢٠١٩م.

٢- حسن أوريد: رباط "المتنبي"، المركز الثقافي العربي، ط١، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠١٩م.

ثانيًا: المراجع:

٣- طه حسين: مع "المتنبي"، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٣م.

٤- عبد العزيز الدسوقي: في عالم المتنبي، دار الشروق ، ط٢، ١٩٨٨م.

٥- عبد الله إبراهيم: المتخيل السردي، مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٠م.

٦- كمال سعفان: هذا أبو الطيب شاعر المعاناة والتمرد، الزهراء للإعلام، ط١، ١٩٩٥م.

٧- المتنبي: ديوان أبي الطيب "المتنبي": بشرح أبي البقاء العكبري المسمى بالتبيان في شرح الديوان، ضبط وتصحيح وفهرسة: مصطفى السقا- إبراهيم الإبياري- عبدالحفيظ شلبي، دار المعرفة للطباعة والنشر.

٨- محمد جبريل: من أوراق أبي الطيب "المتنبي"، مكتبة مصر، ط٢، القاهرة، ١٩٨٦م.

٩- يوسف البديعي: الصبح المنبي عن حيثية "المتنبي"، تحقيق مصطفى السقا، ومحمد شتا، وعبده زياد، سلسلة ذخائر العرب، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٩٤م.

ثالثا: المواقع الإلكترونية:

١٠- Waleed Ostaz : أبو الطيب المتنبي الشاعر العباسي، أبريل ٢٠٢٢م، https://mawdoo3.com/.